لمحات لغوية من القرآن الكريم

(القسم الأول)

إعداد وتقديم الأستاذ الدكتور فؤاد محمود سندي [1]

تمهيد:

نظرا للأهمية البالغة لموضوع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الذي تناوله علماء الأمة الإسلامية عبر القرون السالفة في مختلف الأسفار، إلا أنه لا يزال محل اهتمام الباحثين والعلماء المعاصرين، وسوف يظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لذا يسر إدارة مجلة الثقافة الإسلامية أن تنشر في هذا العدد مقالة تحت عنوان "لمحات لغوية من القرآن الكريم" لسيادة الدكتور فؤاد محمد سندي التي ألقاها في إذاعة نداء الإسلام لتعميم الفائدة.

تسأل إدارة المجلة الله سبحانه وتعالى أن يجزي الدكتور فؤاد خير الجزاء على هذه المقالة العلمية الرصينة، وأن يبارك في جهوده. إنه سميع مجيب.

إدارة المجلة.

---

[1]- دكتوراه في اللغويات من جامعة أم القرى بمكة المكرمة(المملكة العربية السعودية).

الحمد لله الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على من أنزل القرآن، بأفصح وأبين لسان، سيدنا ونبينا محمد أكمل إنسان، وعلى آله وصحبه أهل الإيمان والقرآن، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها الإخوة الكرام... سلام الله تعالى عليكم جميعا ورحمته وبركاته، ومرحبا بكم في هذه الأمسية المباركة، تحت ظلال القرآن الكريم، كتاب الله الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ....، وجميعكم يعلم عظمة وخلود هذا الكتاب العظيم، والذي بهر العرب وهم أرباب الفصاحة والبيان، وأعجزه بإعجازه البياني والعلمي كل البشر، وتحدى الإنس والجن....، فثبت عجز الجميع عن الإتيان بمثل هذا القرآن بل وعن سورة من مثله، وما ذلك إلا لأن هذا القرآن ليس كلام الخلق، بل هو كلام خالق الخلق عز وجل.

وكما أن الله سبحانه وتعالى بحق : ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ فإن كلام الله تبارك وتعالى بصدق (ليس كمثله كلام).

وصدق من قال : الكلام ثلاثة أقسام شعر، ونثر،وقرآن.

وكلما أمعن الإنسان نظره في كتابه الله العزيز، ازداد قربا منه، وإجلالا له وحبا فيه، وكلما زاد قربة من الله غمرت قلبه وقالبه أنوار الله، وأسرار كلام الله، يزيدك وجهه حسنا، إذا ما زدته نظرا.

ونحن جميعا نشكو حالنا إلى الله الكريم، ونعترف بتقصيرنا النظر والتأمل في آيات كتاب الله ومحدثكم أكثر تقصيرا.

والله اسأل أن يلطف بنا جميعا، وبجميع المسلمين، وأن يعيدنا إلى كتابه العزيز تلاوة وتأملا وتدبرا وفهما وتطبيقا في أنفسنا وأهلنا، وفي أعمالنا وأحوالنا وسلوكنا ولنحذر قول رسول الرحيم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: والذي قصه علينا القرآن الحكيم في قوله تعالى ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾ [1].

أحبتي الكرام ....وإذا ثبت للعدو قبل الصديق أن هذا القرآن الكريم معجز للجميع فاعلموا – يا رعاكم الله – أن أوجه الإعجاز في هذا القرآن متعددة بعدد ما يفتح الله به على الناس من أبواب الفهم والعلم وما في علم الله أكبر وأعظم وأكثر...، ومنذ أن نزل القرآن على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء جزاهم الله خيرا على تنوع مشاربهم وثقافاتهم كانوا ولا يزالون يغرفون من هذا المعين الكنز الثمين، ولا يشبعون.

وكانوا رحمهم الله –ووفق الأحياء منهم– وحسب تخصصاتهم العلمية والفكرية والأدبية والمعرفية كانوا ولا يزالون يكتشفون من عجائب القرآن وأسراره في معانيه وأساليبه ومفرداته وإشارته الشيء الكثير والمتنوع الغزير، وكلهم معترف بأنهم لم يبلغوا من أسرار القرآن إلا النزر اليسير.

---

[1] – سورة الفرقان آية ٣٠.

وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ [1].

وصدق رسول الله الكريم القائل عن هذا القرآن الحكيم:

"لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء".

أيها الإخوة المؤمنون..

وبناء على التخصص الدراسي قمت بتوفيق الله تعالى ولا زلت بتتبع اللمحات اللغوية واللطائف التعبيرية في القرآن الكريم (من كتب التفسير والحديث، وإعجاز القرآن وكتب اللغة والبلاغة والبيان.. .

فوقعت على قسط كبير منها ....إليها بحمد الله ما فتح الله تبارك وتعالى من شبيهاتها، وقد يسر الرب الكريم تقديم كثير منها إلى مستمعي إذاعة نداء الإسلام على مدى هذه الأعوام الأربعة التي نعيشها.

وهي في نظري مساهمة متواضعة في (باب الدراسات القرآنية وخاصة اللغوية منها) ولله الحمد من قبل ومن بعد.

والله يديم توفيقه علي وعليكم، ويجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهة الكريم.

والهدف الأساسي من وراء دراستي المتواضعة للإعجاز اللغوي في القرآن الكريم إنما هو حث نفسي وأمثالي من طلبة العلم على

---

[1]- سورة الكهف آية ١٠٩.

التأني عند تلاوة آيات الكتاب العزيز، وعلى محاولة تفهم المراد من عباراته الدقيقة ومفرداته المعجزة، وأساليبه البديعة.

ومراعاة للمكان والزمان هذه الأمسية أحاول بإذن الله جهدي اختيار عدد من اللمحات اللغوية القرآنية مستشهدا على كل منها ببضعة أمثلة فأقول والله المستعان.

اللمحة الأولى: (آيات التحدي).

جلكم يعلم أن القرآن الكريم تحدى العرب خاصة والناس عامة، والجن أيضا عدة مرات فمرة تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، ومرة تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثل سور القرآن، ومرة ثالثة تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله.

ووجه الإعجاز في هذا التحدي ورود آياته في سورة بعينها وبأرقام ذاتها، فآية التحدي بسورة واحدة ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾[1]. وردت في سورة البقرة، وسورة البقرة في ترتيب المصحف الشريف هي الثانية أي قبلها سورة واحدة كاملة وهي (الفاتحة): ﴿فأتوا بسورة من مثله ﴾.

وهذه الآية في البقرة هي (الثالثة والعشرون) والعدد ثلاثة وعشرون يشير إلى سنوات الوحي من الله تعالى على رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم وقد كانت ثلاث عشرة سنة بمكة المكرمة، وعشر سنوات بالمدينة المنورة.

---

[1]- سورة البقرة آية ٢٣.

وبهذا يكون القرآن الكريم قد اكتمل نزوله ورتبت سورة في صدور الحفظة كما رتبت بعد في مصحف واحد، وكما هي مرتبة في اللوح المحفوظ أولها الفاتحة وبعدها البقرة، فسبحان الله العظيم المنزل هذا القرآن الحكيم.

هذا وآية التحدي بعشر سور من مثل سور القرآن الكريم:

﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾ هذه الآية جاءت في سورة هود، وسورة هود قبلها في المصحف عشر سور كاملات هي (الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة والأنعام، والأعراف والأنفال ، والتوبة ويونس).

يضاف إلى ذلك أن آية سورة هود هي (الثالثة عشرة) وهذا الرقم أيها الإخوان يوافق سنوات الوحي المكي قبل الهجرة النبوية وقد تم فيها نزول سورة كاملة تجاوزت العشرة ﴿فليأتوا بعشر سور مثله﴾ فسبحان الله العظيم تجلت حكمته في كل شيء.

أما آية التحدي بالقرآن كله ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ هذه الآية جاءت في سورة الإسراء وأين سورة الإسراء أيها الفضلاء ؟.

إنها في الجزء الخامس عشر من المصحف الشريف أي أنها وسط القرآن الكريم وكأن قارئ القرآن عند بلوغه هذه الآية يكون المصحف الشريف كاملا بشطريه تحت عينيه فيقرأ هذه الآية.

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾[1].

فسبحان الله العظيم منزل هذا القرآن الحكيم على قلب نبيه الكريم.

فقولي أيها الإخوة بربكم هل كل هذا ومع مصادفة من مصادفات التعبير والترتيب ؟.

كلا والله وإنما هي دلالة من دلائل الإعجاز في هذا القرآن الحكيم.

وهي لمحة دقيقة لطيفة من لمحات ولطائف التعبير القرآني.

اللمحة الثانية:

ورود كلمة في آية دون مثيلتها.

في القرآن الكريم آيات كثيرة مماثلة لفظا وفي بعضها وردت كلمة أو جملة لم ترد فيما يماثلها من الآيات.

ولأن القرآن الكريم كلام الله الحكيم الخبير فهو بحق منزه عن الخطأ والزلل من أجل هذا كان لا بد في مجيء الكلمة في آية دون مثيلتها سر معنوي لطيف وإعجاز لغوي دقيق عرفه من عرفه وجهله من جهله.

والكلمة كما تعلمون ثلاثة أنواع (اسم وفعل وحرف).

سأذكر لكم بعون الله تعالى مثالا لكل نوع على وروده في آية دون مثيلتها كنماذج يقاس عليها فأقول والله المستعان.

---

[1] – سورة الإسراء آية ٨٨.

أولا: مجيء الاسم: (معلوم) في آية سورة المعارج أية (٢٤، ٢٥) قال تعالى ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ والسر في تلك الزيادة والعلم عند الله هو أن آية المعارج تتحدث عن الزكاة المفروضة من الله تعالى في أموال أغنياء المسلمين إلى فقرائهم.

وهذه الزكاة حق معلوم المقدار، معلوم الزمان تؤدي للسائل الفقير الذي يتكفف الناس وللمحروم المتعفف عن السؤال.

وسياق سورة المعارج يؤيد هذا التفسير ...إذ في هذه الآية زكاة مفروضة، وقبلها صلاة مكتوبة، وبعدها تصديق بيوم القيامة، فهنا إسلام وإنسان، مستسلم خائف، قال تعالى ﴿إن الإنسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا *وإذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم * والذين يصدقون بيوم الدين * والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ [١].

أما الآية الأخرى في سورة الذاريات: لم ترد فيها كلمة ﴿معلوم﴾ لأنها – والعلم عند الله – تتحدث عن غير الزكاة المفروضة المعلومة، وإنما هي تتكلم عن حق مطلق غير محدود، ولا معلوم أوجبه هؤلاء الأغنياء على أنفسهم في أموالهم للسائل والمحروم، يصلون به رحما، ويحملون به كلا، ويقرون به ضيفا، ويفكون به أسيرا، وينفقونه في أوجه الخير والبر، وأعمال الإحسان، إضافة إلى ما افترضه الله عليهم من زكاة... .

---

[١]- سورة المعارج آية من ٢٠- ٢٧.

وسياق سورة الذاريات يؤيد هذا التفسير إذ في هذه الآية حق غير معلوم وفي الأموال، وقبله قيام ليل في غير الصلاة المكتوبة، واستغفار أسحار وغيرهم نائمون هاجعون، فهؤلاء المتحدث عنهم يزيدون على الفرائض نوافل من جنس الفرائض تقربا إلى ربهم الكريم.... فهم لم يقفوا عند متطلبات الإسلام، بل ارتفعوا إلى درجة الإيمان بل إلى درجات الإحسان والتقوى، فاستحقوا الجزاء العظيم من الرب الكريم في جنات النعيم.

قال تعالى ﴿إن المتقين في جنات النعيم * آخذين ما أتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين*كانوا قليلا من الليل ما يهجعون *وبالأسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾[1].

من أجل هذا أيها الأحبة وردت كلمة ﴿معلوم﴾ في آية المعارج، ولم يرد في مثيلتها في الذاريات.

ثانيا:كلمة ﴿واستوى﴾ وردت في قصة سيدنا موسى عليه السلام.

قال تعالى في سورة القصص ﴿ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ﴾[2].

بينما في قصة سيدنا يوسف عليه السلام لم يرد الفعل ﴿استوى﴾ في الآية التي تماثل الأولى.... قال تعالى في سورة يوسف ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين﴾[3].

فما السر في هذه الزيادة ؟ .

---

[1]- سورة الذاريات الآيات من ١٥- ١٩.

[2]- سورة القصص آية ١٤.

[3] - سورة يوسف آية ٢٢.

الجواب والعلم عند الله (هو كما ذكر الإمام الكرماني في كتابه "أسرار التكرار في القرآن" ص ١١١...أن يوسف عليه السلام قد أوحي الله إليه في صباه قبل أن يبلغ أشده وذلك عند ما أجمع إخوته غفر الله لهم أن يلقوه في غيابت البئر، وهو ابن سبع عشرة سنة.

﴿ فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾.

فكأن يوسف عليه السلام هيأه الله لتلقى الوحي والحكم والعلم قبل بلوغه الأشد الأربعين فعندما بلغه لم يحتج إلى إعداد نفسي آخر ولا استواء ذهني بدني ثان، فجاءت الآية عنه وليس فيها كلمة ﴿واستوى﴾.

أما الكليم موسى عليه السلام فلم يوح إليه صغيرا لهذا لما بلغ أشده احتاج إلى الإعداد والتهيئة والاستواء في النفس وفي البدن لتلقى الوحي الإلهي ... فجاءت كلمة ﴿ واستوى ﴾ في الآية التي تتحدث عنه عليه السلام.

﴿ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ﴾[١].

وهذا أيها الإخوان من دقة بلاغة القرآن.

ثالثا: ورود حرف اللام في الآية الخامسة والستين من سورة الواقعة قال تعالى ﴿ لو نشاء لجعلناه حطاما ﴾ .

---

[١]- سورة يوسف آية ٢٢.

بينما لم ترد هذه اللام في الآية السبعين من سورة الواقعة نفسها. قال تعالى ﴿لو نشاء جعلناه أجاجا﴾ والسر اللطيف في ذلك والعلم عند الله.

هو أن الآية الأولى تتحدث عما يحرثه الناس من بذور لينبت مع مرور الأيام زرعا، ويخرج حبا، ويحمل ثمرا، إذا آن أوانه.

وهذا يحتاج إلى وقت غير قصير لهذا دخلت اللام على جواب الشرط في هذه الآية، ﴿ لو نشاء لجعلناه حطاما ﴾ ودخول اللام على جواب "لو" الشرطية يدل عند اللغويين على تأخر وقوعه قال تعالى

﴿أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون﴾ [1].

فالله القادر الجبار لو شاء أن يحطم حرثكم أيها الناس لحطمه لا في أول وقت الحرث إذ هو بذر، وإنما بعد مدة من الزمن عند استواء الزرع على عوده، وعند احتياجكم إلى حبه وثمره، فأتت اللام في ﴿لجعلناه حطاما﴾ مشيرة إلى هذا الزمن الطويل المطلوب للإثمار.

أما الآية الأخرى فإنها تتحدث عن الماء العذب الذي يشربه الناس، وهم أحوج ما يكونون له حين نزوله من السحاب من السماء، والذي لا يقدر على إنزاله إلا الله عز وجل، وهو سبحانه وحده قادر على أن يجعله لو شاء فور نزوله ملحا أجاجا لا يروى بشرا ولا يسقى زرعا.

قال تعالى ﴿ أفرأيتم الماء الذي تشربون*أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون* لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون﴾ [2].

---

[1]- سورة الواقعة ٦٣-٦٥.

[2] سورة الواقعة الآيات من ٦٨- ٧٠.

من أجل هذا جاء جواب "لو" الشرطية هنا، غير مقترن باللام، ﴿جعلناه أجاجا﴾ للدلالة على وقوعه الفورى.

فسبحان الله العظيم منزل هذا القرآن الحكيم على قلب نبيه الكريم بلسان عربي مبين.

اللمحة الثالثة: ما اتفق لفظه واختلف معناه:

وهذا يسمى في العربية بالمعنى المشترك أي : اللفظ واحد ويطلق على عدة معان، وهذا من دقائق الأسلوب العربي ومن لطائف التعبير القرآني، وفي كتاب الله العزيز أمثلة كثيرة على هذه اللمحة، والقارئ المتأني في تلاوته، المتأمل في آياته، يستطيع بعون الله وتوفيقه أن يتعرف معاني تلك الألفاظ من سياق آياتها الكريمات.

ومن ذلك كلمة أمة وقد وردت في القرآن الكريم مفردة (إحدى وخمسين مرة)، وجاءت مجموعة (أمم) ثلاث عشرة مرة، وجاءت في هذه المواضع على معان تجاوزت العشرة، أختار لكم منها سبعة مواضع نتعرف معا على معانيها المتعددة من قراءة آياتها، فأقول وبالله وبالتوفيق.

واحد: قال تعالى في سورة البقرة ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾[1] فكلمة ﴿أمة﴾ هنا معناها الناس كلهم كانوا مجتمعين على الإيمان بالله وحده، ثم اختلفوا.

[1] – سورة البقرة آية ٢١٣.

اثنان: قال تعالى في سورة النحل ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[1] فالأمة هنا المراد بها الجعل من الناس ما لهم ولهم أجل.

ثلاثة: قال سبحانه وتعالى في آل عمران ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾[2].

قال تعالى في سورة الأعراف ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ فأمة هنا تطلق على طائفة أو جماعة، يدعون إلى الخير فالجنة، أو إلى الشر فالنار. والعياذ بالله.

أربعة: قال تعالى في القصص عن موسى عليه السلام:

﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين ﴾[3]، فالأمة في هذه الآية معناها الرجال ليس بينهم نساء، بدليل ﴿ووجد من دونهم امرأتين ﴾.

خمسة: قال تعالى في سورة النحل عن خليله عليه السلام:

﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين ﴾ وفي هذه الآية ﴿أمة ﴾معناها الرجل الواحد الإمام الجامع لخصال الخير.

---

[1] – سورة النحل آية ٣٦.

[2] – سورة آل عمران آية ١٠٤.

[3] – سورة القصص آية ٢٣.

ستة : قال تعالى في سورة الزخرف:

﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ [1].

فكلمة أمة في هذه الآية تعنى الملة والدين.

الموضع السابع والأخير قال تعالى في سورة يوسف عن أحد صاحبي يوسف في السجن ﴿وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾ [2] فأمة هنا معناها مدة طويلة من الزمن.

قد تطلق أمة على المدة القصيرة من الزمان كما في قوله تعالى في سورة هود﴿ ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ﴾.

وهكذا إخوتي الكرام يمكنكم الوصول إلى المعاني المتعددة للكلمة الواحدة في القرآن الكريم من سياق الآية وفهم معناها، ومن المراجع التي تحدثت عن هذه اللمحة اللغوية وتفننت في عرضها :

- كتاب: ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد لأبي العباس المبرد.
- وكتاب: الوجوه والنظائر في القرآن" لمقاتل البلخي.
- وكتاب: قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر للإمام ابن الجوزي.

---

[1] – سورة الزخرف آية ٢٣.

[2] – سورة يوسف ٤٥.

- وكتاب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين الفيروزآبادي.

يضاف إليها كتاب فقه اللغة وسر اللغة العربية لأبي منصور الثعالبي.

اللمحة الرابعة : المعنى المفرد للكلمة في القرآن.

والمقصود بالمعنى المفرد هنا أن الكلمة قد تتكرر في كتاب الله العزيز عدة مرات، وتكون بمعنى واحد في المرات كلها إلا في مرة واحدة منها: فتكون بمعنى آخر، فيكون هذا الموضع مفردا في معنى الكلمة القرآنية.

وقد جمع الإمام اللغوي أحمد بن فارس عددا كبيرا من هذه الكلمات في كتابه (الإفراد) أختار منها ما يلي:

أولا: كلمة ﴿ البروج ﴾، تكررت في القرآن أربع مرات، في ثلاث منها جاءت بمعنى كواكب السماء العظيمة السيارة، قال تعالى﴿ والسماء ذات البروج ﴾ [1].

وقال سبحانه وتعالى ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين﴾ [2].

وقال تعالى﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ [3].

---

[1] – سورة البروج آية ١.

[2] – سورة الحجر آية ١٦.

[3] – سورة الفرقان آية ٦١.

وفي المرة الرابعة جاءت البروج بمعنى الحصون المنيعة والقصور العالية وذلك في قوله تعالى ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ [1].

ثانيا: كلمة ﴿ الأسف ﴾ تكررت في القرآن الكريم خمس آيات، في أربع منها جاءت بمعنى الحزن والحسرة، وذلك في قوله تعالى ﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ﴾[2] ، وفي سورة طه ﴿ فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ﴾ [3].

وفي قوله تعالى ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴾ [4]، وفي قوله تعالى في سورة يوسف ﴿ وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف ﴾ [5].

أما في الموضع الخامس فجاء ....في سورة الزخرف عن فرعون وقومه الضالين قال تعالى ﴿ فلما أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾[6]، فكلمة ﴿أسفونا﴾ هنا معناها أغضبونا وأغاظونا.

---

[1] – سورة النساء آية ٧٨.
[2] – سورة الأعراف آية ١٥٠.
[3] – سورة طه آية ٨٦.
[4] – سورة الكهف آية ٦.
[5] – سورة يوسف آية ٨٤.
[6] – سورة الزخرف آية ٥٥.

ثالثا : كلمة الصيام والصوم وقد تكرر هذا المصدر في القرآن الكريم تسع مرات جاء في ثماني منها بمعنى الصوم الشرعي، وهو الإمساك عن الشراب والطعام، وبقية محظورات الصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع انضمام النية من ذلك قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين أمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [1]، وقوله تعالى ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ﴾ [2].

أما الموضع التاسع فقد جاء في سورة مريم في قوله تعالى يخاطب السيدة مريم أم المسيح عيسى عليه السلام ﴿ فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا ﴾ [3]، فالصوم في هذه الآية الكريمة المراد به الصمت والسكوت والإمساك عن الكلام وليس الإمساك عن الشراب والطعام.

رابعا: كلمة ﴿ أصحاب النار ﴾ وردت في كتابه الله العزيز عشرين مرة، المرات التسع عشرة الأولى منها المقصود بأصحاب النار فيها هم أهل النار من المشركين والكفار والظالمين، والفجار، الذين أدخلهم الله بعدله النار، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [4].

---

[1] – سورة البقرة آية ١٨٣.
[2] – سورة النساء آية ٩٢.
[3] – سورة مريم آية ٢٦.
[4] – سورة البقرة آية ٣٩.

وقوله تعالى﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ [1].

أما المرة العشرون والتي جاءت في المدثر في قوله تعالى ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ فأصحاب النار في هذه الآية فقط المقصود بهم خزنة النار، من الملائكة الغلاظ الشداد الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وهذا معنى مفرد للكلمة في القرآن الكريم.

حفظنا الله وإياكم من النار وغضب الجبار، وزحزحنا عن النار، وأدخلنا الجنة مع الأبرار.

اللمحة الخامسة: التفريق بين المترادفين:

في اللغة العربية كلمات مشترك في المعنى العام، وسماها بعضهم مترادفات، وإذا كان جمهور العامة من الناس لا يفرقون بين هذه الكلمات إذ يستعملون في كلامهم وفي كتاباتهم ألفاظا ويكون غيرها أحق منها وأدق في الدلالة على المعنى الذي يرونه.

فإن المحققين من اللغويين قرروا أن كل كلمة من هذه التي تسمى مترادفات لها معنى خاص بها، وبينوا – جزاهم الله خيرا– الفروق الدقيقة بين هذه الكلمات وقالوا إن المتكلم الواعي الفاهم لأسرار العربية هو الذي يحسن اختيار الكلمة المناسبة للمعنى المقصود.

---

[1] – سورة الحشر آية ٢٠.

هذا والتعبير القرآني هو أدق التعابير وأبلغها وأفصحها وأصحها، و له القدح المعلى في التفريق بين المترادفين، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، وكلها تشهد على أن القرآن الكريم يستعمل اللفظ بدلالة معينة، لا يمكن أن يؤديها لفظ آخر مما يشترك معه في المعنى العام.

من ذلك الخوف والخشية، والشح والبخل، والرؤيا والحلم، وأبصر وآنس، والغيث والمطر، والبعد والنأى، والإخوة والإخوان، والسنة والعام، والمرأة والزوج، وغير ذلك.

ومن الكتب التي تناولت هذه اللمحة اللغوية.

- الإتقان في علوم القرآن، للإمام السيوطي.
- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية.
- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري.
- الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة بنت الشاطئ.
- معجزة القرآن للشيخ الشعراوي.

وحسبي هنا أن أختار لكم ثلاثة نماذج في التفريق الدقيق بين المترادفين في كتاب الله العزيز.

النموذج الأول: الإخوة والإخوان والكلمتان مفردها أخ.

والأخ هو من جمعك وإياه صلب أو بطن أو هما معا، فيكون أخاك نسبا من أب أو من أم، أو شقيقا منهما معا.

كما يطلق الأخ على الصديق من غير النسب وفي المثل رب أخ لك لم تلده أمك، وكثير من الناس لا يفرقون في الاستعمال بين الإخوة

والإخوان، لكن القرآن الكريم وهو كتاب العربية الأكبر والأصح يفرق في دقة بين اللفظين.

فلا يستعمل إخوة إلا في أخوة النسب، أو في ما هو أقوى من النسب.

وجاءت فيه كلمة إخوة سبع مرات، مرتان منها في سورة النساء ﴿ فإن كان أخوة فلأمه السدس ﴾ [1]، و﴿وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ [2].

وجاءت كلمة إخوة أربع مرات في سورة يوسف:

﴿قال يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك ﴾[3]، ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ﴾ [4]، ﴿وجاء إخوة يوسف ﴾ [5]، ﴿من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾[6] ولا شك أن الإخوة في هذه المواضع الست إخوة في النسب.

والموضع السابع الذي جاءت فيه كلمة إخوة فهو قوله تعالى في سورة الحجرات ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ [7].

وهنا ليس الإخوة إخوة نسب، بل بينهم إخوة إيمان.

---

[1] – سورة النساء آية ١١

[2] – سورة النساء آية ١٧٦.

[3] – سورة يوسف آية ٥.

[4] – سورة يوسف آية ٧.

[5] – سورة يوسف آية ٥٨.

[6] –سورة يوسف آية ١٠٠.

[7] – سورة الحجرات آية ١٠٠.

ورابطة الإيمان أقوى من رابطة النسب من أجل هذا استعمل التعبير القرآني كلمة إخوة لا كلمة إخوان، فالإخوة في القرآن، إما إخوة في نسب وإما إخوة فيما هو أقوى من النسب وهو الإيمان.

أما كلمة إخوان أيها الإخوان فهي في القرآن تدل على الأخوة في النسب، وعلى الإخوة في غير النسب وفي سبع آيات جاءت الكلمة دالة على النسب بدلالة اجتماعها مع الآباء والأبناء.

وذلك في سورة الأنعام آية ٧٧، وفي سورة التوبة آية ٢٣، ٢٤، وفي سورة النور آية ٣١، ٦١، وفي سورة المجادلة آية ٢٢، والأحزاب آية ٥٥، منها قوله تعالى ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناءكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ﴾[١]، وقوله تعالى ﴿ لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن و لا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ﴾[٢].

وفي اثنتي عشرة آية وردت كلمة إخوان في غير النسب في ست منها إخوان خير ومحبة، وفي ست منها إخوان شر وعداوة.

من الأولى قوله تعالى ﴿فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾[٣]، ومن الست على المعنى الآخر قوله تعالى ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾[٤]، وقوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون

---

[١] – سورة التوبة ٢٤.
[٢] – سورة الأحزاب آية ٥٥.
[٣] – سورة آل عمران آية ١٠٢.
[٤] – سورة الإسراء آية ٢٧.

لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ [1]وقوله تعالى ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ﴾ [2].

النموذج الثاني: الكلمتان السنة والعام.

وللسنة عند العرب دلالتان الأولى السنة الشمسية، والأخرى الجدب والشدة، وكذلك للعام دلالتان، الأولى العام القمري، والأخرى الرخاء والراحة، وعلى الدلالة الأولى للكلمتين قوله تعالى في أهل الكهف ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ﴾ [3]، فمدة نومهم في الكهف إن حسبناها بالأيام فهي ثلاثمائة سنة شمسية، وإن حسبناها بالليالي فهي ثلاثمائة وتسعة أعوام قمرية.

إذ كل مائة سنة تساوى مائة وثلاثة أعوام، والله أدرى وأعلم.

وعلى الدلالة الثانية للكلمتين السنة والعام قوله تعالى في سيدنا نوح عليه السلام ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ﴾ [4]، ولم يأت التعبير هنا ألف عام إلا خمسين سنة، وذلك لأن نوحا عليه السلام لبث يدعو قومه إلى التوحيد تسعمائة وخمسين سنة، وكانت هذه فترة جهد وجهاد ومشقة، أما الخمسون المستثناة من الألف فلم تكن فيها دعوة ولا شدة إذ أغرق الله قوم نوح ومن على الأرض من الكافرين، فكانت

---

[1] – سورة الحشر آية ١١.
[2] – سورة الحجر آية ٤٧.
[3] – سورة الكهف آية ٢٥.
[4] – سورة العنكبوت آية ١٤.

خمسين عاما فيها راحة وهناء عليه، وعلى من نجا معه من المؤمنين.

وفي معنى القحط والرخاء ورد قوله سبحانه وتعالى على لسان نبيه سيدنا يوسف عليه السلام في أول تعبيره رؤيا ملك مصر ﴿تزرعون سبع سنين دأبا﴾ [1]، ثم قال عليه السلام في زيادته على الرؤيا ﴿ثم يأتي عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ [2]، فمع الزراعة والدأب والمشقة استخدم التعبير القرآني سبع سنين ولم يقل سبعة أعوام ومع الغيث والخير والراحة استخدام لفظة عام لا سنة، فسبحان الله العظيم.

وفي القرآن الكريم جاءت كلمة سنة مفردة في سبع آيات وكلها في الشدة والتشديد، ففي البقرة لآية ٩٦، وفي سورة المائدة آية ٢٦، وفي سورة الحج آية ٤٧، والعنكبوت آية ١٤، والسجدة آية ٥، والأحقاف آية ١٥، والمعارج آية ٤، وجاءت كلمة عام مفردة في سبع آيات أيضا، وكلها في معنى الراحة والهناءة ففي سورة البقرة آية ٢٥٩، وفي سورة التوبة آية ٢٨، ٣٧، ١٢٦، وفي سورة يوسف آية ٤٩، وفي سورة العنكبوت آية ١٤، وفي سورة لقمان آية ١٤.

فما أعظم هذا القرآن أيها الإخوان، وما أدق تعبير القرآن، نفعنا الله ورفعنا جميعا بالقرآن.

---

[1] – سورة يوسف آية ٤٧.

[2] – سورة يوسف آية ٤٩.

النموذج الثالث الكلمتان امرأة وزوج:

امرأة أنثى الرجل، وجمعها نساء ونسوة على غير لفظها.

وزوج ما كان له نظير أو نقيض، والزوج فرد لا اثنين، وكل اثنين فهما زوجان. قال تعالى ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ [1]، فالرجل زوج المرأة، والمرأة زوج الرجل، والجمع أزواج، وهذه اللغة العالية وبها جاء القرآن الكريم قال تعالى ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج، وآتيتم إحداهن قنطارا ﴾ [2]، وبعض الناس يلحق التاء مع الأنثى فيقولون زوجة والجمع زوجات، والفقهاء يقتصرون في الاستعمال على زوجة، وذلك للإيضاح وكيلا يلتبس الذكر بالأنثى في الأحكام، وكثير من الناس لا يفرقون في الاستعمال بين الكلمتين المرأة والزوج على الأنثى فيقولون هذه امرأة أخيك، ويقولون هذه زوج أخيك ظانين أن أحد اللفظين يقوم مقام الآخر، لكن التعبير القرآني يأتي ذلك، وذلك لوجود فرق دقيق بين الكلمتين.

فكلمة امرأة تدل على مجرد الأنوثة، أما كلمة زوج فتدل على المزاوجة والمشاكلة، والقرآن الكريم يستخدم كلمة زوج حيث تكون مواصفات المزاوجة بين الرجل والمرأة متوفرة، وكاملة، وأعلاها اتفاقهما في الدين الصحيح، وأدناها قبولها الحمل والولادة، والتكاثر، فإذا فقدت هاتان الصفتان بينهما أو إحداهما فالأنثى امرأة الرجل وليست زوجة ، والرجل بعل الأنثى وليس زوجها.

---

[1] – سورة الذاريات آية ٤٩.

[2] – سورة النساء آية ٢٠.

فهذه حواء قرينة آدم عليهما السلام هي على دينه الصحيح، دين التوحيد وهي أم بنيه لهذا فهي زوجه لا امرأته قال تعالى ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزجك الجنة ﴾ [1].

أما واعلة قرينة نوح عليه السلام، وأما واهلة قرينة لوط عليه السلام، فقد خانتاهما في الدين، فكل منهما امرأة وليست زوجا قال تعالى ﴿وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ﴾ [2].

وآسية قرينة فرعون فقد كانت هي المؤمنة بالله وحده، وفرعون كان هو الكافر فهي إذا امرأته وليست زوجه قال تعالى ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ [3]، ففي هؤلاء النسوة الثلاث مخالفة في الدين مع رجالهن، فلا زوجية ولا مزاوجة بينهم.

وأم جميل قرينة أبي لهب، الكافر كانت هي كافرة أيضا هي أم بنيه، فالموافقة في الدين بينهما موجودة، ولكن الدين فاسد وليس صحيحا فهو كفر لا إيمان، إذا فهي امرأته وليست زوجه، قال تعالى ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ [4].

أما السيدة سارة قرينة خليل الله سيدنا إبراهيم عليهما السلام فهما مؤمنان بالله تعالى ولكنها كانت عاقرا لا تحمل ولا تلد، فالصفة العليا

---

[1] – سورة البقرة آية ٣٥.
[2] – سورة التحريم آية ١٠.
[3] – سورة التحريم آية ١١.
[4] – سورة المسد آية ٤.

في الزوجية موجودة، والصفة الدنيا مفقودة لذا فهي امرأته، لا زوجه، قال تعالى ﴿ وامرأته قائمة ﴾[1]، صحيح أنها حملت بإسحاق عليه السلام لكن القرآن عندما أطلق عليها امرأة كانت في حالة العقم وعند الحمل لم يرد ذكرها.

بينما قرينة نبي الله زكريا عليه السلام فقد ذكرها القرآن الكريم في الحالتين، في حال العقم فأطلق عليها امرأة، وفي حال الحمل فأطلق عليها زوجا، قال تعالى عنها وهي في الحالة الأولى على لسان زكريا ﴿قال رب أني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ﴾[2]، وقال تعالى ﴿وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا ﴾ [3].

فلما استجاب الله الكريم دعاءه وتضرعه ووهب له ابنه يحي أطلق القرآن الحكيم على امرأته كلمة زوجة قال تعالى في سورة الأنبياء ﴿ وزكريا إذ نادي ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين * فاستجبنا له ووهبنا له يحي وأصلحنا له زوجه ﴾ [4].

فسبحان الله العظيم تجلت حكمته في كل شيء، وتناهت دقة بلاغة كلامه سبحانه وتعالى.

أما حنة قرينة عمران فقد مات بعلها وهي حامل بما حنة قرينة عمران فقد مات بعلها وهي حامل بابنتيها مريم العذراء، وعندما تحدث

---

[1] – سورة هود آية ٧١.
[2] – سورة آل عمران آية ٤٠.
[3] -سورة مريم آية ٥.
[4] – سورة الأنبياء آية ٨٩، ٩٠.

عنها القرآن الكريم قال امرأة عمران، ولم يقل زوج عمران، لأنها آنذاك كانت مترملة ليس لها زوج، فهي امرأة لا زوجا، قال تعالى ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا ﴾ [1].

وأما زليخا قرينة عزيز مصر، فهي لم تحمل ولا تلد منه، ثم هي خائنة بمراودتها فتاها يوسف عليه السلام لذا فهي امرأة وليست زوجا، قال تعالى في يوسف ﴿ وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا﴾ [3].

أيها الإخوة الكرام فإذا لم تتزوج الأنثى فهي في التعبير القرآني امرأة من باب أولى ومن أولئك بلقيس ملكة سبأ، قال تعالى على لسان الهدهد: ﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ [4]، وبنتا أخي شعيب عليه السلام قال تعالى ﴿ووجد منهم من دونهم امرأتين تذودان﴾ [5]، وأم شريك التي وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها ﴾ [6].

وإن كانت الأنثى متزوجة وكان بعلها يترفع عليها أو يعرض عنها كرها لها فهي آنذاك امرأة قال تعالى في خولة بينت محمد بن مسلمة،

---

[1] – سورة آل عمران آية ٣٥.
[2] – سورة يوسف آية ٢١.
[3] – سورة يوسف آية ٣٠.
[4] – سورة النمل آية ٢٣.
[5] – سورة القصص آية ٢٣.
[6] – سورة الأحزاب آية ٥٠.

﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ﴾ [1] .

هذا وفي آيات التشريع تتعلق الأحكام بالزوج والأزواج لا بالمرأة والنساء وذلك حين تكون الزوجية قائمة واقعا أو حكما، كأحكام المواريث وعدة اللاتي توفين أزواجهن، قال تعالى ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم ﴾ [2].

وقال تعالى ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ﴾ [3].

أما حين تنقطع العلاقة الزوجية بإيلاء أو بطلاق أو بظهار، فالأحكام هنا تتعلق بالنساء لا بالأزواج، قال سبحانه وتعالى ﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ [4].

فسبحان الله العظيم منزل هذا القرآن الحكيم بلسان عربي مبين.

---

[1] – سورة النساء آية ١٢٨.
[2] – سورة البقرة آية ٢٤٠.
[3] – سورة البقرة آية ٢٣٤.
[4] – سورة البقرة آية ٢٢٦.